من إنجازات المستشرقين

بذل المستشرقون جهودًا ضخمة مضنية في دراسة الإسلام ولغته وآدابه وعقيدته، وتاريخه، وقرآنه وسنته، وحضارته، وأعلامه.. إلخ وألفوا كتبًا وقواميس ودائرة معارف، وحققوا مخطوطات، وعقدوا مؤتمرات كثيرة للتدارس فيما بذلوه وما ينبغي أن يقوموا به من عمل.

ومهما يكن من شيء، فإن الدارس المنصف لابد أن يقف مندهشًا أمام هذه الجهود الكثيفة المتكاملة المتضافرة المؤثرة إلى أبعد حدود التأثير للمستشرقين، كذلك حرصهم ودأبهم ومثابرتهم على تجميع المخطوطات الإسلامية بكل الطرق وترتيبها وفهرستها والتعريف بها وتحقيق الكثير منها.. ولابد أن نعترف أن كثيرًا من هذه المخطوطات ما كان لنا أن نعرفها إلا بواسطة بعض المستشرقين، بل ربما ما كان لها أن تبقى حتى اليوم - ولأصبح مصيرها مصير مخطوطات جدي رحمه الله - لولا عنايتهم بها ورعايتهم لشأنها.

وإن ما أثمرت جهودهم من مثل: تفصيل آيات القرآن، الذي تمخضت عنه فكرة المعجم المفهرس للقرآن الكريم، وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لأمر غير منكور. أما دائرة المعارف الإسلامية التي وضعوها فإنها لا تزال عمدة الدارسين من العلماء والطلاب على ما بها من اضطراب وقصور.. ويؤسفني أن أقول في هذا المقام: إن جامعاتنا ومؤسساتنا ومراكز بحوثنا - على كثرتها ووفرة إمكانياتها - قد عجزت وفشلت في وضع البديل الذي يضارعها أو يسد مسدها، ومن الثمرات غير المنكورة للجهد الاستشراقي أنه حفز كثيرًا من العلماء الأجلاء إلى الاستجابة لهذا التحدي الكبير، ودراسة تراثنا دراسة عميقة واعية للتعرف على

ما ينطوي عليه من عوامل القوة والنهوض، وموجبات الرقي والتقدم، وحسنات الأخلاق، وفضائل القيم من ناحية، ولمقاومة الهجمة الاستشراقية والاستعمارية والتبشيرية الشرسة من ناحية أخرى. تلك ثمرة عظيمة غير مباشرة للاستشراق تحققت.. كما أن المستشرقين قد طرقوا موضوعات جديدة.. وفي بعض الأحيان طريفة لم تكن معروفة أو مألوفة، فلفتوا أنظار الباحثين المسلمين إليها، وشحذوا هممهم إلى العناية بها واستثمارها وتطويرها كما أنهم قد وظفوا منهجيات بحثية مفيدة.

وبعد: فإن آراء المستشرقين وافتراءاتهم قد راجت وانتشرت، وساعد على ذلك تكامل جهودهم، وامتلاكهم أدوات التأثير، وهيمنة الحضارة الغربية على العالم اليوم، كما ساعدهم تفرق جهود الباحثين في الشرق الإسلامي، وضعف مكانة الأمم الإسلامية في عالم الفكر والسياسة، واقتناع نخبهم الفكرية والثقافية وقياداتهم السياسية والإعلامية بأساليب وأنماط الحضارة الغربية.

obeikandl.com